



الذات والآخرين التماهي والتصادم وإثبات الهوية
في السيرة الروائية أصبحت أنت لأحلام مستغانمي

**The Self and the Other: between Identification,
Collision, and Confirmation of Identity in the
Novelistic Biography 'You Have Become' by Ahlam
Mosteghanemi**

رقية مزعاش¹، رزيقة طاووا²

¹ جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)، s.benm Rokaya.mezache@univ-

oeb.dz

² جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)، Razika.taoutaou@univ-oeb.dz

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في ثنائية الذات والآخر في السيرة الروائية "أصبحت أنت" لأحلام مستغانمي، وإلى محاولة تفصي حضور الذات الأنثوية في النتاج السردي النسوي الجزائري واستخلاص الكيفية التي بحثت من خلالها المرأة عن أفاق أوسع تتحقق فيها ذاتها بمجابهتها للآخر في علاقة التقابل أو التناقض من جهة وصولها إما إلى التماهي أو التصادم معه من جهة أخرى، إذ تسعى الروائية أحلام مستغانمي لإثبات فاعلية ذاتها ومقدرتها على ترسيخ هويتها ضمن التناقضات البشرية الحاصلة من خلال رؤيا مختلفة عما ألفناه في الروايات النسوية الجزائرية الأخرى. كلمات مفتاحية: الذات، الآخر، التماهي، التصادم، الهوية، السيرة الروائية.

Summary:

This study aims to explore the duality of the self and the other in the novel "You Have Become" by Ahlam Mosteghanemi, and to attempt to investigate the presence of the feminine self in Algerian women's narrative production.

المؤلف المرسل: رقية مزعاش، الإيميل: s.benm Rokaya.mezache@univ-oeb.dz

It seeks to extract how women searched for broader horizons in which their selves are realized through confronting the other in a relationship of opposition or contradiction, leading either to merging with or clashing against it. The novelist Ahlam Mosteghanemi strives to assert her self-efficacy and ability to establish her identity amid the existing human contradictions through a perspective different from what we are accustomed to in other Algerian women's novels.

Keywords: self, other, merging, collision, identity, narrative biography

1. مقدمة :

تنضوي الروايات الجزائرية ولا سيما النسائية منها على رؤى وأفكار تبلورت من مواقف حياتية مرت بها الروائيات، فالتجربة الروائية للأديبات تعد مسارا وتكوينا مليئا بالمشاق ارتبط فيها الحاضر بعبق الماضي لدرجة تماهي الذات الحاضرة في الآخر الغائب حيث صارت ترى نفسها الآخر في كل شيء، وقد خاضت الأديبات الجزائريات صراعات كثيرة وتدرجت في مراحل عدّة، قبل أن تدخل غمار الكتابة بأشكالها المختلفة ما سمح لها التعبير عن أهم المواضيع، سيما ما تعلق بمعاناتها مما فرضته أعراف المجتمع والقيود التي كبلتها في فترة من الفترات عن الإبداع.

تنوعت القضايا المطروحة في الروايات النسوية وتميزت عما يكتبه الآخر الرجل، بطرحها للمواضيع بعين الأنثى التي تحاول الانفلات والتحرر من كل العراقيل، وإثبات مقدرتها الكتابية في فن ظل يسيطر عليه الآخر منذ نشأته، فكانت مركزية الذات والآخر محور العملية الإبداعية في جل الروايات الجزائرية النسائية التي تناولت اعترافات ذاتية مرت بها في مراحل حياتية مختلفة.

مسألة علاقة الذات والآخر هذه الحلقة الدائرية المرتبطة والمنفصلة في الآن نفسه، جعلت من الرواية الجزائرية نصا سرديا ثريا ومادة دسمة تستقطب دارجي الأدب لاستكناهه خباياه وجوانبه، والكشف عن ظلال هذه العلاقة المنصهرة تارة والمنشطرة والمتضادة تارة أخرى ، وقد تكون حيادية في مرات عدّة، ولما كان للمبدعات من امتلاك أدوات رصينة للكتابة فقد لعبت لعبتها السردية في توظيف ذواتهن داخل المتن الحكائي، بطريقة تجلب الاهتمام وتكشف الأسرار التي توضح وعمين وهضمهن لمصطلحات زبئية: كالذات والآخر

الذات والآخر بين التماهي والتصادم وإنباء الهوية في السيرة الروائية أصبحت أبعث لأحلام
مستغانمي _____ (المجلد الرابع عشر / العدد الثالث) / سبتمبر 2025

الذين أصبحا مادة طيبة تأخذ شكلها حسب رغبة الساردة الأنتى ووفق ما تراه مناسباً
لنظرتها و متطلباتها، فخطت المرأة خطوات ثابتة في تأكيد حضورها على الساحة الثقافية،
وسعت في بحثها لإيجاد مساحتها الخاصة للإبداع أن تثبت فعالية حضورها كذات ساردة
ومنسردة في الآن نفسه.

المتعارف عليه في خط سير الكتابة لدى الروائيات بصفة عامة هو الحديث عن
الصراع بين (الأنا) الذات والآخر، والبحث عن كيفية التغلب عليه وكسر الحواجز بينهما
وصولاً للمساواة، أما في الآونة الأخيرة فقد انفتحت الرؤية على عوالم كتابة أسهبت فيها
الروائيات في سرد أحداث وعوالم ذاتية وحياتية متنوعة تماهت فيها الذات وانصهرت في
الآخر الذي لطالما كان الرجل (القيد).

استطاعت أحلام مستغانمي في سيرتها الروائية "أصبحت أنت"، وبموهبتها الفذة أن
تعطي صورة متنوعة للآخر تؤكد فيها رؤيتها له بإيجابية كبيرة بدءاً من العنوان ولوجاً إلى ما
أبدعت من كتابة. من هنا لاحت في ذهننا بعض الأسئلة المتعلقة بكيفية تجلي الذات الأنثوية
في الرواية؟ ومن هو الآخر فيها؟ وهل تعدد الآخر أم بقي على ذات الشاكلة؟ وكيف تماهت
الذات في الآخر في ظل انفصالهما؟

2. تماهي الذات في الآخر:

1.2 مفهوم التماهي:

التماهي " lidentification " من أهم المفاهيم المحددة لشخصية الانسان، ويعتبر
من أكبر العوامل المؤثرة في طبيعة الفرد فهو الانصهار والتطابق بين الشخص وبين الطرف
الآخر و بذلك يعني تبني الشخص لآراء ومعتقدات وأفكار وسلوكيات الآخر، وقبل الغوص
في البحث عن ملامح هذا المصطلح داخل الرواية وجب تسليط الضوء والمرور على معانيه
فالتماهي في الأصل: " أسلوب بدائي في تكوين الشخص على غرار شخص آخر، لا يقيم قيمة
أي علاقة سابقة يطرح فيها الموضوع ككيان مستقل، وهو يتلازم تلازماً وثيقاً مع العلاقة التي
تطلق اسم الإدماج"¹.

كما أخذ هذا المصطلح قيمة كبرى في أعمال فرويد باعتباره عملية يتكون الكائن الإنساني من خلالها، وقد أضاف جديدا وهو عنصر اللاوعي، إذا فالتماهي ليس مجرد محاكاة، وإنما تمتلك دوما عقلا واعيا، " عملية نفسية يتمثل فيها الشخص بواسطتها أحد مظاهر، أو خصائص أو صفات شخص آخر، ويتحول كليا أو جزئيا تبعا لنموذجه تتكون الشخصية وتتمايز من خلال سلسلة من التماهيات"²، لا يخرج هذا المعنى عن التقمص أو أخذ خاصية أو سمة لدى الآخر لتأثرنا به فتصبح من المكونات المؤسسة لشخصيتنا وذواتنا بدءا بالمحاكاة اللاشعورية، فهو مزيج عاطفي وتأثر بشخص مرت بحياتنا فتركت بصمة إيجابية فينا، فنميل إلى تقليدها رغبة وحبا.

2.2 مراحل التماهي:

- أ. التماهي الأولي البدائي: " إنه أسلوب بدائي في تكوين الشخص على غرار شخص آخر، لا يقيم قبلة أي علاقة سابقة يطرح فيها الموضوع ككيان مستقل.
- ب. التماهي التكويني: ويقع بين سن الثالثة عشر والرابعة عشر حيث يكون الأنا الأعلى منظمين حسب النموذج الذي بناه المحيط وخصوصا الوالدين فكل ما يميز الصورة الإيجابية او السلبية يكون مغروسا في أعماق الطفل خلال هذه الفترة.
- ج. التماهي الحر: ويتشكل بعد سن البلوغ أي يكون المراهق قد اكتسب تجارب خاصة وبالتالي يحاول أن يقيم ذاته بالمقارنة مع والديه بدلا من الخضوع إليهما.
- د. التماهي الإسقاطي (projective identification) مصطلح تحدث عنه ميلاني كلاين ويقوم على مفهوم الإسقاط النفسي لفرويد فحسب دي لينج فالشخص لا يستخدم غيره(الآخر) على أنه خطاب يعلق عليه الإسقاط، بل يسعى جاهدا ليجد في الآخر أو يحثه لأن يصبح تجسيدا للإسقاط"³، وبعد التماهي الإسقاطي وسيلة للتواصل وطريقة للتغيير النفسي وإسقاط الرغبات والمشاعر على الشخص المقابل بغرض التمكّن من استحضارها.

3. العتبات النصية:

دأب النقاد في دراستهم الإبداع الأدبي التركيز على العتبات النصية لما لها من دور هام في توضيح معالم النص والربط بين شوائجه وعناصره فهي تعد علامات إنتاجية أساسية تتحد مع النص المقدم لتحفز القارئ وتعطيه تصورا يختلف بطبيعة الحال من قارئ لآخر حسب أفق توقعه وحمولته الثقافية فهي " تسيح النص وتسميه وتحميه وتدافع عنه وتميزه عن غيره، وتعين موقعه في جنسه وتحت القارئ على إقتنائه"⁴، ولأنها مفاتيح تأويلية ونصوص مكثفة مختصرة وظفتها أحلام مستغانمي في سيرتها الروائية باعتبارها " المداخل التي تتخلل النص وتكمله وتتمه"⁵، فهي علامات وإشارات يستلهم منها القارئ أفكارا قد تغيب عن تفكيره فيكسر أفق التوقع بفضل دلالاتها، ويقف بشغف وفضول أمام مجهولات انفتحت له بفضلها.

تنوع العتبات النصية في سيرتنا الروائية بين عتبات خارجية وعتبات داخلية وظفتها الأديبة بشكل متمازج بين الواقع والتخيلي، فالغلاف أول ما يجلب انتباه القارئ بحمله للعديد من المؤشرات التي تستثيره فهو المرأة العاكسة للنص والواجهة الأولى التي يستدرج بها المؤلف قارئه وغلاف "أصبحت أنت" جاء ملفتا للانتباه مليئا بالإشارات، مزينا بحلة أنيقة وتصميم مختار بدقة لكي يساعدنا على التعمق في مستويات النص الروائي ففي الواجهة نجد عتبة الصورة أو الشكل البصري الذي يراه القارئ من الوهلة الأولى فيكون من خلالها لمحة عما في الغلاف والنص الداخلي، لأن الصور عادة ما ترتبط ومحتوى النصوص المكتوبة، والغلاف زينته صورة أحلام مستغانمي في الواجهة الأمامية وبالموازاة لها صورة والدها في الواجهة الخلفية وهما في مرحلتها شباهما، فطغى عليه اللون الأبيض للدلالة على الارتياح والتسامح هذا التوظيف جاء ليؤكد على تماثل شخصياتهما ودلالة على أنها نسخة عن والدها .

1.3 العنوان وعلاقته بالذات والآخر:

تماهي الذات في الآخر تجسد في علاقة الروائية أحلام مستغانمي بوالدها المتأثرة به وبأفكاره بدءاً بالعنوان الصريح "أَصْبَحْتُ أَنْتَ" بحمله مضموناً عاطفياً، واعترافاً صريحاً لتجربة إنسانية عايشتها في فترة مهمة من حياتها ومن حياة الوطن فجاء مختزلاً بدقة كل ما انضوت عليه السيرة الروائية فلطالما كان العنوان "سمة الكتاب ووسم عليه وله وهو أول لقاء مادي محسوس بين القارئ والكاتب أو القارئ بالكتاب"⁶.

تماهي ذات أحلام الروائية الأنثى والفتاة في "أصبحت أنت" الذي كتب في الواجهة الأمامية للغلاف بحجم كبير (فتاء المتكلم) في العنوان تؤكد على تقاطع ذات الروائية وهويتها مع أحد الشخصيات الرجالية الذي يدل عليه ضمير المخاطب (أنت)، هذا التقاطع وصل حد الانصهار في ذاتية والدها وما يؤكد ذلك العنوان الفرعي سيرة روائية بمساهمته في ضبط معالم العنوان الرئيسي واتصاله بالنص الروائي من خلال تحديد هوية جنسه.

عتبة العنوان "أصبحت أنت" سيرة ذاتية نقلتنا من خلالها الروائية لنعيش تجربتها الحياتية بأسلوب روائي مليء بالإبداع لم يقتصر على تقمصها لجزء من شخصية والدها فحسب ما أوردته في جل روايتها تقول: " كنت في كل كتاب أو اصل الكتابة إليك لتكذيب حقيقة غيابك"⁷، وهذا ما نلاحظه من خلال عتبة العنوان فقد أهدتها روايتها "أصبحت أنت" الذي تقرأ فيه وتصيح بانتمائها الصارخ له دون الآخرين، بعد سنوات رأت نفسها فيه، تشبعت من صفاته، وجدت نفسها تمشي على خطاه بمبادئ الوطنيين، فالأب هو الوطن والملجأ الذي يحتوينا منذ ولادتنا ولهذا صَعُبَ على أحلام رثاؤه، لأن الأوطان لا ترثي بمجرد قصيدة ولا رواية يمكن أن تشبع زخم الأحران المتوالي " يوم فقدتك خاني الحبر... لعلك كنت وطني إذن، فقد كبرت الخسارات بعدك، إلى حد أن الروايات راحت تتناسل، صرت أكتب وكأنني أوصل حديثي المسائي إليك"⁸.

2.3 الإهداء:

للإهداء دلالات كثيرة وأبعاد جمالية ولأهميته فقد " حظي بالدراسة والتحليل... باعتباره عتبة نصية لا تخلو من القصدية سواء في اختيار المهدى إليه أو اختيار عبارات الإهداء"⁹، وباعتباره تكريماً وعرفاناً للمهدى له من قبل المؤلف فنلاحظ أن الروائية قد نوعت في إهداءها وفصلت بين إهداءها لوالدتها وإهداء أبيها دلالة على قيمتهما في ذاتها واحترامها للآخر (الوالدين)، دون التملص من علاقة ذاتها المتماهية في ذات والدها فقد أهدته لوالدتها باسم أبيها كأنها تكتب على لسان والدها، وقد جاء الإهداء ليعطينا دلالات ورؤى توضيحية للنص قبل الشروع في تلقي أحداثه، بيد أنها أفردت إهداء من نوع آخر متمنية لو أن في المقابر مكتبات ليقرأها والدها لأهميته كقارئ في حياتها فجاء الإهداء ليمثل عتبة تعبر عن هموم الكاتبة وهواجسها بالولوج إلى ذاتها وتذكر أحزانها وخسارتها الكبيرة لوالدها وفقدتها وجسر تواصل ورابطا قويا يبقها دائما على تواصل معه.

4. علاقة الذات بالآخر:

شغلت مسألة الذات الإنسانية عددا من المفكرين والفلاسفة منذ القدم، كما شقت إشكالية الأنا (الذات) والآخر طريقها في الدرس النقدي الحديث انطلاقاً من جدلية ثنائية قائمة على فكرة التأثير والتأثر، وقد اختلفت الآراء في تحديد ماهيتها وأنواعها وشكلت " الذات الهوية الفردية وتشير إلى جميع الخصائص الشخصية والجسمانية والأدوار والقيم بحسب فرويد"¹⁰.

تفتح جدلية الأنا والآخر لنا زاوية جديدة للدراسة والتحليل، تنوعت فيها علاقة الذات الساردة بالآخر المتعدد في الرواية بين علاقة تصادم أو انصهار، فالذات بطبيعتها الاجتماعية سمحت "للفرد من خلال أخذ دور الآخرين ضمناً أن يُكوّن تصوراً عن ذاته قائماً على أساس استجابات الآخرين له"¹¹، فهي تستوعب وتشمل قيم الآخرين وتتفاعل مع المحيط فتكون مسايرة له، ولا يمكن صياغة مفهوم أولي للذات بفصلها عن الهوية والآخر

فلا " ذات بلا هوية ولا تحديد لذات ما إلا بوجود آخر مغاير، فهي بمثابة حقل ثقافي يفضي بعضه إلى بعض ليتكامل فيما بينه"¹²، وهذا الأمر يؤدي إلى تماهي الأنا بالآخر وتفاعلها مع المحيط الخارجي .

1.4 الذات والآخر علاقة تو افقية أم تصادمية:

علاقة الذات بالآخر فهو" الكل المزدوج للكينونة الذاتية وتقويضها في الآن نفسه، وكل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض"¹³، فقد أخذت حيزا كبيرا من الإبداع النسائي في الإنتاج السردي ولم تكن أحلام بمنأى عن هذه الإشكالية التي صورتها بطريقة مغايرة فالآخر في علاقته مع الذات الأنثوية في رواية "أصبحت أنت" كان إلى حد بعيد متصلحا معها غير مقيد لها " الآخر في أبسط صورته هو نقيض للذات، فهو كل ما كان موجود خارج الذات المدركة ومستقلا عنها، وفي تاريخ العلم والفكر كما في العلوم الإنسانية، احتلت موضوعات الآخر- وماتزال- مكانة بارزة نظرا لارتباطها بموضوعات أساسية ملازمة: الأنا، الذات، الهوية..."¹⁴.

تمكنت أحلام الروائية والمثقفة من تحقيق منجزات أدبية متميزة بفضل " القراءة المستمرة للواقع بكلياته وتفصيله، بأحداثه وتطلعاته، برجاله، ومؤسساته، بكوابحه وأفاقه"¹⁵، كما عبرت في سيرتها الروائية عم أنتج ذاتها المبدعة وكوّنت هويتها الوطنية وانتمائها لأنّ هوية الإنسان يرسمها ويحدد شكلها وألوانها ما يرد إليه من خارجه، وما تثمره علاقته بالآخرين، ولهذا فإنها لا بد أن تكون ولو في بعض صورها جزء من هوية مجتمعه"¹⁶.

بفضل والدها أولا ورفقاء دربه من شخصيات سياسية وأدبية ثانيا في خط سيرهم الوطني وتبنيهم للقيم الوطنية التي زالت بزوالهم متحدثة بإعجاب ف " مهري عاش بعدك ثريا بماضيه زاهدا في حاضره. لكبر أسرارها حماها كعادته بالصمت."¹⁷، ذاتها الوطنية توافقت مع الآخر في نقطة الوطن والتضحية في سبيله ولا مجال للمساومة عليه مروراً إلى الآخر المتغير من آخر توافقي إلى آخر صدامي فقد كانت محظوظة بدائرة الرجال المحيطة بها في حيم واحترامهم لذاتها كامرأة أولا وككاتبة لها مطلق الحرية ثانيا.

2.4 تو أفقية الذات والآخر:

يتضح تماهي ذات الكاتبة في الآخر الأب في افتخارها واعتزازها بالقيم التي خلفها فيها، وصور الأمانة إلى احساسها المرهف وجينات الشعر الموروثة منه، والحساسية المفرطة التي نلمسها في كل رواية نقرأها وتعمق في تفاصيلها حين تقرا "أصبحت أنت" ترى أحلام المتماهية في والدها المنتسبة له في أدق التفاصيل، المتشعبة بأفكاره، المتغذية على قيمه ومواقفه، فتقول " بعدك أصبحت أنت، أعدت اقرار كل حماقاتك، خسرت بسخاء، تهكمت على خسراتي، ... كتبت قصائد بشغفك، بولعك وحزنك... ما عرضت قلبي في سوق الدم، لأنك قلت لي إن من يضع لنفسه ثمنا يصبح بلا ثمن. رفضت أن أنحني لأحد لأنك غادرت مستقيم الظهر"¹⁸، ولتصريحها بتماثل شخصيتها مع شخصية والدها فقد وضعت هذا القول في الغلاف الخلفي أمام صورة والدها.

فالآخرون هم بالآخرى وفي أغلب الأحيان أولئك الذين لا نميز ذواتنا عنهم، ومن نتواجد ضمنهم أيضا بالوفاء لهم، وتبني أفكارهم والحفاظ على عاداتهم وما يحبونه إلى أن نشبههم، لرغبتنا في استذكارهم في حياتنا، رغم ذلك فالإحساس بالنقص كان يعترها في كل كتاباتها فالثورة والتمرد واللغة المناسبة في رواياتها وأبطالها كان اختيارهم لإبهارك أنت ف" منذ أول كتاب وأنا أهديك ما كتبت وما شطبت، أهديك كل مالم أقله، وما تعلمه، لأنني أشبهك... في كل القضايا الخاسرة التي بكيته، كنت أبكي بعينيك أنت. في كل مرة واجهت فيها لصوص الوطن، كنت نيابة عنك أرفع الصوت وأدفع الثمن... كنت تماما كما أردتني أن أكون: نسخة عنك"¹⁹.

تعود الروائية لتؤكد تأثرها الكبير بوالدها في ميولاتها الأدبية إذ اختارت الشعر في بداية مسيرتها على خطاه بتماهي ذاتها الشاعرة في شاعرية الأب الذي أوكل إليها مهمة تقديم مجموعته الشعرية المعنونة بالهروب الأخير "evasion"، صفة التماهي في الرواية كانت متبادلة فسي الشريف أيضا كان معترًا بأحلام فخورا بها مساندا لها في كل خطوة تمسحها

نحو النجاح وصعود سلم العلم والابداع متباهايا بمستقبل ابنة يرى فيها الأدبية بقوله: " لقد جئت إلى الدنيا لأنجب أحلام، أريد أن أنسب إليها كما تنسب لي"²⁰.

إنّ علاقة الذات بالآخر تجلت في العديد من الصور الأولى: في صورة التماهي وهي علاقة فطرية بين الفتاة ووالدها. والصورة الثانية: التي تعدت علاقة التماهي في الأب لتتجاوزها للخال "سيدي عز الدين" الذي أوكلت له مهمة الاهتمام بهم بعد دخول والدها المستشفى "لم يكن لنا قريب سواه... لم ينج سوى غصن صغير تعلقنا به وتعلق بنا"²¹.

تجلت في الآخر العربي الذي وقف نصرة للجزائر في مواقفها كلها ضد المستعمر الفرنسي وساندها من أجل أخذ الاستقلال ثم أثناء تأسيس الدولة المستقلة. فنلاحظ من خلال سردها جملة من المواقف من بينها موقف للرئيس المصري "جمال عبد الناصر" أثناء عيد استقلال الجزائر الأول حين أمسك "بيد الرئيس بن بلة من جهة وبيد تشي غيفارا من الجهة الأخرى وهو يغني: (قضبان السد العالي اتكسرت، والشمس طلعت نورت أرض البطولة، أرض العروبة، أرض الجزائر)"²²، انتمائهم للوطن الأم الجزائر والوطن الأكبر الأمة العربية كان له تأثير كبير في النفوس إذ حُفِظَتْ للطلبة كل الأناشيد التي تمجد العروبة وتكرس قيمها من وطني حبيبي، وطني الأكبر، وقصة شعب، وعاش الجيل الصاعد وغيرها. تتضح أيضا العلاقة التوافقية من خلال تصوير الآخر الغربي بصفته الطبيب الفرنسي الذي ألغى كل الفروقات والحسابات السياسية أمام ما تتطلبه إنسانيته من التزام بواجباته واهتمامه بمرضاه بحيادية ومنتهى الأمانة برغم كل التناقضات أتم مهنته.

3.4 صراع الذات والآخر:

تنوعت الذات في رفضها للآخر، ففي جنس الرواية عموما والرواية النسائية خصوصا الآخر يبقى عدوانيا بدرجة أولى، إذ لا توجد علاقة بالآخر إلا على قاعدة غالب ومغلوب، في ثنائية متصارعة لا متوافقة مرده إلى كون المرأة تنظر للآخر على أنه سلطة مضادة قمعية"²³، ورغم كسر هذا المعتقد في "أصبحت أنت" بتصويرها الآخر المتبني لها ولأحلامها

الذاهب والأخر بين التماهي والتصادم وإنباه الصوية في السيرة الروائية أصبحت أبعث لأحلام
مستغابمي _____ (العدد الرابع عشر / العدد الثالث / سبتمبر 2025)

المحتوي لطموحاتها الذي تماهت فيه حبا وعشقا لقيمه وشخصه، فالقارئ للسيرة الرواية
يلحظ تعدد الآخر وتلونه.

فالأخر يتمظهر في أوجه متعددة بين السياسي الذي يتهب الوطن ويصفي حساباته
بالقتل بسبب لاختلاف الرؤى والتوجهات الفكرية، وبين انتشار الإرهاب في سنوات الجمر
برحيل الكثير من الأسماء الأدبية وخيرتها من صحفيين ومسرحيين، وقد قدمت أحلام
تصورا حيا عما أسمته أزمة المثقف في تلك الفترة برحيل "الطاهر جعوط الشاعر الأكثر
جرأة في زمن العشرية السوداء رميا بالرصاص، ومات الشاعر يوسف سبتي صاحب
(الجحيم والجنون) في السنة نفسها مذبوحا"²⁴.

وبين الآخر الأديب السلطوي الذي يسحق كل محاولات الظهور والابداع بدءا بوالدتها
التي رفضت عملها في الإذاعة مروراً لمديرة الثانوية التي خيرتها ظلماً وتعسفاً بين مواصلة
دراستها وعملها في محاولة لسلب حريتها وإرادتها في الاختيار موجهة القول لأحلام: "إن كنت
تريدين مواصلة العمل في الإذاعة، اعتبري نفسك منذ اللحظة مطرودة"²⁵، فالقهر الذي
أحسست به والتوظيف الجائر للسلطة كانا ما أكسباني شجاعتي وتصوري بأن "فرحة أبي
وقهر مديرتي أمام خبر نجاحي"²⁶، هو الوقود للاستمرار وإثبات الكيان والاستقلالية كأنتي
لها كامل الحرية "أن أكون ذاتا، يعني أن أختار"²⁷، وبين الآخر الغربي المتجلي في المستعمر
الذي رفض استقلال الجزائر فالقادة العسكريون رفضوا احتمالية قبول ديغول ومنحه
استقلال الجزائر، أما مدام كوزيت اختارت البقاء والعيش في الجزائر إلا أنها لا ترضى
التعايش مع الجزائريين وفي ذات الوقت ترى نفسها غريبة في وطن لطالما رآته موطنها، لذا لم
تتقبل فكرة إقامتها مع الجزائريين

في ذات البناية "فكّم العداوة التي كانت تتطير منها، توحى بأننا اقتحمنا بيتها وحوّلناه إلى
ثكنة"²⁸ وهي صور تجسد العلاقة التصادمية بين الأنا والآخر (المستعمر) مهما كان منهزما
وأن العداوة أبدية بيننا وبينه.

5. الذات الهوية:

الهوية مسألة قديمة جديدة ارتبط مفهومها وانتشارها بظهور النزعة الفردية الحداثية فالهوية ليست أمرا فطريا بل موروثا، وقد يكون للشخص أكثر من انتماء واحد. وتنوع الانتماء هو ما يصنع قيمة للفرد ويجعل من كل كائن فردا غير قابل للاستبدال. و"الهوية لا تعطى مرة واحدة وإلى الأبد، فهي تتشكل وتتحول على طول الوجود".²⁹

ينشأ الفرد نشأة اجتماعية ويشيد هويته على مراحل تكوينه، وهكذا تتأسس الهوية على العلاقات الوجدانية للفرد ولـ "الأخر" وتكون في غالب الأحيان صراعية و"بشكل عام ترتبط التأملات حول الهوية "بدراسة مفهوم "الذات" من صورها وتمثلاتها، فالهوية تتشيد ضمن العلاقة مع المحيط ومع الآخرين "لأن الوعي بهويتنا الخاصة هو أول معطى لصلتنا بالوجود"³⁰، فصورة الذات بالمعنى الدقيق تحتل مكانا هاما في تشكل الهوية داخل اللعبة السردية.

1.5 تماهي الذات في الهوية الوطنية:

لطالما كتبت أحلام مستغانمي ذاتها دون الانفصال عن هويتها، وانتمائها الوطني تارة والعربي تارة أخرى، في لعبة سردية حاورت المتلقي وأدخلته عالمها المليء بالتساؤلات والخيبات والانتصارات، وبسجل حافل بالذكريات استطاعت أن تكتب ذاتها وتبحث بين ثناياها للوصول للهوية التي لطالما حاربها الآخرون وأرادوا لها الانسلاخ، فأعلنت حربها في كتاباتها على ناهي الوطن والطفة الظالمين " لعنت لصوص الوطن... حاربت الطغاة... كم أتمنى فضح هؤلاء اللصوص"³¹، تفتخر بأنها عايشة زمنا قلما يتكرر أو يعاد زمن الرجال بامتياز الذين تشربت قناعاتهم ورؤاهم الفكرية كالرئيس الراحل بن بلة الذي شهته بوالدها وعبد الحميد مهري السياسي المحنك فكلاهما أشبعا روحها بالهوية والانتماء بالحديث عن قسنطينة " فهو يواصل بعدك الحديث عن قسنطينة، روى لي عنك ما مضيت دون أن ترويه لي"³².

الحنين إلى الوطن تجسد من خلال سماعها لأغاني قسنطينية كالفرقاني التي لم تفارقها في غربتها في فرنسا، حديثها عن رحيل الكبار الذي أحدث داخلها فجوة زمنية وانشطارا بينها وبين أبناء جيلها فاتخذت الوحدة أنيسا والكتابة مأوى وملاذا فحسبها

برحيلهم "انتهى زمن الرجال النسور، غدوت طائرا غربيا، أكبر من أن يجد له بين العصافير
رفيقا"³³.

إنّ الذات التي لم تستطع التنصل من انتمائها ولا من التزامها تجاه هويتها الوطنية
والمعجبة بأدبائها كانت ما تنفك تذكرهم "كالأخضر بورقعة الذي ألف كتابا بعنوان شاهد
على اغتيال الثورة"³⁴، أما عن حبها للوطن ورموزه الشامخة كالأوراس التي عشقته بفضل
خالها "بسببه وقعت في حب الأوراس الذي كان يتردد اسمه في بيتنا...لعقود نسيته، ثم
فوجئت به يستيقظ في لاشعوري، وأنا أكتب الأسود يليق بك بمشاعر من أقام على قممه
دائما"³⁵.

كما نادت بحرية التعبير للشعوب وحقها في قول ما يحلو لها، لذا ركزت أحلام
مستغانمي في سيرتها الروائية على استرجاع ذاكرة والدها سي الشريف مستغانمي وتخليدها
بمسردية متنامية تدرجت خلالها للحديث عن تضحياته للوطن وميولاته الأدبية التي ورثها
عنه وشغفه بالقراءة والكتب.

1.5 تماهي الذات في الهوية القومية:

تظهر في افتخارها بمولدها على يد أول امرأة عربية رائدة في مجال الطب والتي تعد
أول امرأة تتحصل على شهادة البكالوريا في شمال إفريقيا وبذلك كسرت كل أعراف وقيود
الماضي لتتصدر صورتها ورقة نقدية في تونس "ها هي ذي توحيدة بن الشيخ، أراها على ورقة
العشرة دنانير التونسية. أتأمل الرضيع الذي يجاورها ملفوفا في قماطه"³⁶.

فهي أم تونس الفتية الحاضنة لأجيال الحرية بذرة تحرر الذات من القيود وانعتاق
المرأة شقت في زمنها الصعب الطريق لكل نساء المغرب العربي فهي تتماهى معها في القدر
والمقاومة من أجل الخروج بالمرأة إلى عوالم مختلفة، إلى احتضان تونس لهم وللكتير من
الجزائريين للعيش فيها فترة الاستعمار الفرنسي.

تنتقل بعدها إلى فترة جد حساسة من فترات الجزائر بعد الاستقلال ومساندة الدول
العربية لنا ببعثاتها العلمية للنهوض بالتعليم ونشر العربية ليتطوعوا بفيض شعور قومي
للتدريس بالجزائر نصرة للعربية، فلا يمكن نكران فضلهم في بدايات تكوين الدولة

الجزائرية، "فقد كانت الجزائر الفتية تعيش انصهارا وجدانيا بين مراهقتها العاطفية وتلك السياسية، فارتدت في حضن العروبة"³⁷، التي استقبلتها بوافر حب وتقدير لبطولات شعبها.
6. الخاتمة:

حاولنا من خلال هذا المقال أن نوضح الترابط الوثيق بين الذات والآخر واستجلاء معانيهما في سيرة روائية سجلت فيها أحلام مستغاني أحداثا مهمة ساهمت في تكوين شخصيتها ومراحل مختلفة من حياتها وعواملها الذاتية واستطعنا الخروج بنتائج منها:
- الكتابة عند أحلام مستغاني هي الميثاق الأنثوي الذي كرسه للدفاع عن حقوقها كآني منذ ولوجها عالم الرواية والإبداع.
- استطاعت الروائية استثمار تقنياتها لبناء عالمها المغلق مستثمرة أدواتها وثقافتها المتراكمة لإيصال صوت المرأة.
- خطاب الهوية يقوم على مبدأ التضاد والتصادم بين الذات والآخر في آحين كثيرة.
- جاءت قضايا الذات، الآخر، الهوية، محاور مركزية في السيرة الروائية "أصبحت أنت" للروائية أحلام مستغاني، وبين إثبات الذات ودراسة الآخر وجب الحفاظ على الهوية التي لا يمكن أن توجد إلا عبر الاختلاف.
- "أصبحت أنت" سيرة روائية كتبت لتخليد ذكرى الآخر "الأب".
- التماهي مصطلح ظهر بادئ الأمر في الدراسات النفسية، واستطاعت الروائيات توظيفه في السرد الحكائي بما يخدم تصوره.
- التماهي في رواية "أصبحت أنت" أخذ الحيز الكبير من الدراسة لتركيز الروائية على علاقة التأثر والتأثير بينها وبين والدها.

7. مراجع البحث وإحالاته:

¹ جان لابلاش وينتاليس، معجم المصطلحات التحليل النفسي، تر: مصطفى الحجازي، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، د، ت، ص198.

² جان لابلاش وينتاليس، معجم المصطلحات التحليل النفسي، ص198.

³ جان لابلاش وينتاليس، معجم المصطلحات التحليل النفسي، ص198.

- ⁴ جيرار جينات، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 1997، ص15.
- ⁵ هياس شكري خليل، فاعلية العتبات في قراءة النص الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د، ط، 2005، ص229.
- ⁶ بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، الأردن، ط1، د، ت، ص31.
- ⁷ أحلام مستغاني، أصبحت أنت، نوفل للنشر، لبنان، د، ط، 2023، ص12.
- ⁸ أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص14.
- ⁹ عبد الفتاح الحجري، عتبات النص البنية والدلالة، الشركة الرابطة، الدار البيضاء، ط1، |1996، ص26.
- ¹⁰ سيجموند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1982، ص58-60.
- ¹¹ عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط3، 1998، ص29.
- ¹² عصام واصل، الرواية النسوية العربية، مساءلة الأنساق وتقويض المركزية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص139.
- ¹³ صلاح صالح، سرد الآخر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2003، ص120.
- ¹⁴ حسين عبيد الشمري، صورة الآخر في الخطاب القرآني، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1، 2008، ص29.
- ¹⁵ محفوظ محمد، الحضور والمثاقفة: المثقف العربي وتحديات العولمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000، ص47.
- ¹⁶ نادية محمود مصطفى، سيف الدين عبد الفتاح، اللغة والهوية وحوار الحضارات، مراجعة وتحريرو: أمجد جبريل، جامعة القاهرة، د، ط، 2006، ص76.
- ¹⁷ أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص22.
- ¹⁸ أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص15.
- ¹⁹ أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص20.
- ²⁰ أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص252.
- ²¹ أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص35.
- ²² أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص132.
- ²³ حسين مناصرة، قراءات في المنظور السردى النسوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2013، ص211.

- 24 أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص 218..
25 أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص 196
26 أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص 199.
27 كاترين ألبيرن، جان كلود روانو بوربالان، الهوية والهويات الفرد، الزمرة، المجتمع، تر: إياس حسن، ج 2، دار الفرقد، ط 1، 2017، ص 35.
28 أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص 100.
29 أمين معلوف، الهويات القاتلة، تر: نهلة بيضون، دار الفرابي، بيروت، ط 1، 2004، ص 25.
30 كاترين ألبيرن، الهوية والهويات الفرد، ص 35.
31 أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص 15-16.
32 أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص 18.
33 أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص 18.
34 أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص 22.
35 أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص 35.
36 أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص 24.
37 أحلام مستغاني، أصبحت أنت، ص 132.

8. مصادر البحث ومراجعته:

1. أحلام مستغاني، أصبحت أنت، دار نوفل، لبنان، د، ط، 2023.
2. أمين معلوف، الهويات القاتلة، تر: نهلة بيضون، دار الفرابي، بيروت، ط 1، 2004.
3. بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، الأردن، ط 1، د، ت.
4. جان لابلاش ونيثاليس، معجم المصطلحات التحليل النفسي، تر: مصطفى حجازي، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 3، د، ت.
5. جيرار جينات، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 2، 1997.
6. حسين عبيد الشمري، صورة الآخر في الخطاب القرآني، دار الكتب العالمية، بيروت، ط 1، 2008.

- 7 حسين مناصرة، قراءات في المنظور السردي النسوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013.
8. سيجموند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1982.
9. صلاح صالح، سرد الآخر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2003.
10. عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص البنوية والدلالة، الشركة الرابطة، الدار البيضاء، ط1، 1996.
11. عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط3، مارس 1998.
12. عصام واصل، الرواية النسوية العربية، مساءلة الأنساق وتقويض المركزية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018.
13. كاترين ألبيرن، جان كلود روانو بوربالان، الهوية والهويات الفرد، الزمرة، المجتمع، تر: إياس حسن، ج2، دار الفرقد، ط1، 2017.
13. محفوظ محمد، الحضور والمثاقفة: المثقف العربي وتحديات العولمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000.
14. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة العلمية، الإسكندرية، د، ط، 1979.
15. نادية محمود مصطفى، سيف الدين عبد الفتاح، اللغة والهوية وحوار الحضارات، مراجعة وتحريرو: أمجد جبريل، برنامج حوار الحضارات، كلية العلوم الاقتصادية والسياسية، جامعة القاهرة، د، ط، 2006.
16. هباس شكري خليل، فاعلية العتبات في قراءة النص الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د، ط، 2005.